مكتسبات زيارة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

ا. د. بشير هادي عودة الطائي
مركز دراسات البصرة والخليج العربي –جامعة البصرة

أ. م. د. راضي عبيد نغيمش
كلية الإدارة والاقتصاد– جامعة البصرة

عبد الأمير عودة شاوردي
باحث في الشأن الأسلامي

basheer.hadi@yahoo.com

الملخص

تعد زيارة الأربعين، ملحمة حسينية خالدة، تبعث في النفوس الصفاء الروحي، والالتزام القيمي، بمعطيات الثورة التي جاء بها صاحب الذكرى الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) وصحابته الأفذاذ، بما قدمته للإنسانية من رؤى إسلامية، وقيم أخلاقية، ترجمت بالثبات على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، والتراحم المجتمعي، والوقوف بحزم ضد التيارات الفكرية المناهضة للإسلام، لذا جاءت هذه الدراسة محاولة تشخيصية لأبرز الأدوار التي تقدمها الزيارة الأربعينية، ليس فقط على مستوى الاقتصاد المحلي والمجتمع العراقي حسب، بل تتعدى ذلك إلى المستوى الإقليمي لاقتصادات الدول الإسلامية، كون الثورة الحسينية هي رسالة إنسانية للعالم أجمع، لذا يتطلع المؤمنون في العراق لهذه الزيارة بالإعداد والتحضير وتوفير جميع المستلزمات الحياتية للزائرين، ثم تأدية مراسيمها بكل حب وتفانٍ وإصرار، مشيًا إلى مرقد سبط رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أكثر من (500) كم، من مختلف المدن والبقاع والدول. وقد سعت الدراسة إلى بيان الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لزيارة الأربعينية، وما يتحقق من مكاسب تنموية للبلد بفضل بركات الإمام الحسين (ع) المتحققة من هذه الزيارة العظيمة، التي باتت تمثل حدثًا عالميًا أصبح محط أنظار محبي آل بيت الرسول (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، مما جعل العراق عامة، وكربلاء المقدسة خاصة، تستنفر جميع الطاقات والإمكانات والموارد المتاحة للدولة، ولأفراد المجتمع العراقي بكل أطيافه ومكوناته وعشائره من أجل التسابق لخدمة الزائرين، وإتمام

هذه الشعيرة الإسلامية المباركة، منطلقة من حقيقة (أن زيارة الأربعين للإمام الحسين تمثل عطاءًا روحيًا يكرس ترسيخ القيم الإنسانية للدين الإسلامي الحنيف، التي يتحقق بموجبها آلية تطبيق مبادئ الاقتصاد الإسلامي، بما يعود بالرخاء والنفع الاقتصادي والثقافي على الفرد والمجتمع).

الكلمات المفتاحية: الزيارة، الأربعينية، التآخي، التراحم، الإنسانية، الثورة الحسينية.

The Economic, Social and Cultural Gains Achieved from The Al–Arbaeen Visit of Imam Hussein, peace be upon him

Prof. Dr. Basheer Hadi Ouda

Center for Basra and Arabian Gulf Studies – University of Basra

Asst. Prof. Dr. Radhi Obaid Nghaimesh

College of Administration and Economics – University of Basra

Abdulameer Ouda Shawardi

Researcher in Islamic affairs

Abstract

The Arbaeen pilgrimage to Imam Hussein consider an epic Which have been inspiring by its content the souls of a wide spectrum of Muslims brought by the master of memory, Imam Hussein, his family(peace be upon them) and his distinguished companions.,

with the Islamic visions and moral values that he presented to humanity, translated by steadfastness on the principles of the true Islamic religion, social compassion and standing firmly against currents The anti-Islam intellectual, therefore, this study came as a diagnostic attempt for the most prominent roles offered by Arbaeen visiting ceremony, not only on the economic and social level in Iraq, but also on the regional level of Islamic countries. Since the Husseinia's revolution is a humanitarian message to the whole world. so the believers in Iraq look forward to this Ceremony by preparation and provision of all life necessities for the visitors, then performing its ceremonies with love, dedication and determination, walking to the shrine of the son of the daughter of the Messenger of God, peace and blessings be upon him. For more than (500) km, and from various cities, and countries surrounding the Holy Shrine. The study aimed to explain the economic, social and cultural dimensions of the Arbaeen visiting ceremony and the developmental gains achieved for the country thanks to the blessings of Imam Hussein, peace be upon him, achieved from this great visit, which has become a global event that has become The center of the world's attention and lovers of the Prophet's family, the best of prayers and peace be upon them. Which made Iraq in general, and the Holy Karbala governorate in particular, mobilize all the energies, capabilities and resources available to the state and members of Iraqi society with all its spectrums, components and clans in order to race to serve the visitors and complete this blessed Islamic ritual, based on the premise that (the fortieth visit of Imam

Hussein represents a spiritual gift that enshrines the consolidation of values Humanity of the true Islamic religion, according to which the mechanism of applying the principles of Islamic economics is achieved in a way that brings prosperity and economic and cultural benefit to the individual and society.

Keywords: Visitation, Al- Arbaeenia , Fraternity , Compassion , Humanity , Husseinia's Revolution

المقدمة:

لقد قدمت لنا الثورة الحسينية مثالًا راقيًا في الجهاد والتضحية من أجل الحفاظ على قيم الدين الإسلامي، وصيانة مبادئه من التشوهات والأفكار والتيارات المنحرفة، والثبات على الحق وتعاليم الإسلام، وعدم الانجرار وراء منافع الدنيا ومغرياتها؛ عندما قال الإمام الحسين (عليه السلام) مدويًا " ما خرجت أشرًا، ولا بطرًا، ولا مفسدًا، ولا ظالمًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله(ص) ". فالحسين (عليه السلام) هو الإمام الثائر بوجه الظلم والجبروت قدم نفسه وأهل بيته، قربانًا لله تعالى، دون الخضوع للظلمة والكفرة أتباع يزيد بن معاوية وزمرته الباغية (لعنهم الله)، عندما أبلغهم بكلماته المدوية التي زلزلت عروش الكافرين "هيهات منا الذلة، ومثلي لا يبايع مثله"، لأن أهل بيت النبوة (عليهم السلام) لا يبايعون باغيًا، ولا يعلو على شأنهم شيء سوى الله تعالى، الذي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. وما زالت الثورة الحسينية شاخصة أمام أنظار العالم أجمع، وهي تمثل تهديدًا للظالمين في كل مكان وزمان، لكونها نبراسًا لمواجهة الظلم، ومقارعة العدوان، بما أوتيت من قوة، ما دامت قوى الظلام تعبث في ثنايا المجتمعات الإسلامية، وتقلب موازين العدل. فالثوار في تصديهم للظلم يستمدون القوة والعزيمة ويستلهمون العبر من المآثر التي جاءت بها هذه الثورة المعطاء عندما واجه الإمام (عليه السلام) إتباع يزيد، وعبيد الله ابن زياد، في واقعة الطف بكربلاء، وأبلغهم مقولته " لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد"

إن في أربعينية استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) استنارات قرآنية تعزز القيم الأخلاقية، التي جاء بها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله سلم)، فكان السبط (عليه السلام) المرآة التي عكست مبادئ الدين الحنيف، التي جاء بها جده في مواجهة الكفر والظالمين، لذا تعد زيارة الأربعين تأكيدًا لعدم الانحراف عن نهج الثورة الحسينية، واستلهامًا للدروس التي استُخلصت من معركة الطف الخالدة، وهذه الدروس تعبر عن مكاسب اقتصادية واجتماعية

وثقافية، تحقق الخير والعدل المجتمعي، وتناهض قوى الكفر والظلام والاستبداد، التي جاءت بالسياسات الإمبريالية العالمية.

أهمية الدراسة

لأربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) منطلقات قيميّة وفكرية تعبر عن مدى عنفوان الثورة الحسينية في مقارعة قوى الشرك والظلام، وإعادة كفة العدل إلى نصابها، وهذا ما سعت له الدراسة في إبراز تلك المنطلقات، التي تشكل حزمة من الإجراءات، التي يمكن أن تكون وسائل إصلاح وتنمية للمجتمع، والنهوض بمرتكزاته الاقتصادية في ظل الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف. وتعبر الدراسة عن مدى فاعلية الزيارة الحسينية من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والدينية، ومدى تأثير ذلك في مواجهة السيل العارم المشوه للثقافة العربية الأصيلة، الذي جاءت به الثورة المعلوماتية في مجال تكنولوجيا الاتصالات والإنترنت من أفكار وثقافات غربية تحاول تدنيس القيم الأصيلة للمجتمع الإسلامي، فالزيارة الأربعينية تمثل حائط الصد الرئيس أمام الثقافات الغربية المنحرفة التي تحاول الإمبريالية فرضها علينا.

مشكلة الدراسة

أمام غزارة الأفكار الاستعمارية الربوية، والتنظير الرأسمالي الإمبريالي، والثقافات الغربية المطروحة في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، الذي يحاول النظام الاقتصادي العالمي الجديد فرضه على المجتمعات الإسلامية، ممثلًا بظاهرة العولمة ومؤسساتها، وما تبعه من معطيات الثورة التقنية والمعلوماتية، التي كرست جل اهتمامها نحو تفكيك القيم المجتمعية للدول الإسلامية، وجعلها مستقبلة لأنماطهم الحياتية، وتابعة لما تطرحه من أفكار ورؤى تناقض مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، بغية إبعاد الجيل الحالي عن أصالة تاريخه، وقيمه الدينية والعقدية، لتأتي الثورة الحسينية ممثلة بإحياء الزيارة الأربعينية، لتدحض جميع النوايا الغربية الخبيثة ضد الإسلام، ومقارعة الإرهاب والتكفيريين، وإعطاء صورة ناصعة عن حقيقة تعاليم الدين الإسلامي السمحاء، ومبادئه وأخلاقه في العدل، والمعاملة الحسنة، وحب الخير، وحشد الهمم في مواجهة الظالمين، وعدم السكوت على الظلم، وإفشال مخططات الجماعات المتطرفة التكفيرية، التي يحاول الغرب زجها في مجتمعاتنا لإفساد الشباب بالترغيب والترهيب.

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى بلوغ الآتي:

1 – الوقوف على المعاني الإسلامية السامية، والقيم المجتمعية السمحاء، وصور التراحم الإنساني التي تقدمها زيارة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من صفر من كل عام.

2 – إظهار أهمية الزيارة الأربعينية في مناهضة الإرهاب والتكفير، وإفشال مخططات التطرف الديني، وحماية المجتمع من عبث التيارات المعادية للإسلام والمسلمين.

3 – بيان حجم المنافع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتحققة من إحياء الزيارة الأربعينية، ومدى أثرها في رفع مستوى الوعي بالحقوق والواجبات للفرد والمجتمع إزاء السلطات الحاكمة.

3-تقديم مقترحات تعزز من فرص التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المتمخضة عن الزيارة الأربعينية.

فرضية الدراسة

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها (تمثل زيارة الأربعين عطاءًا روحيًا، يكرس ترسيخ القيم الإنسانية للدين الإسلامي الحنيف ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، التي تتحقق بموجبها آلية تطبيق مبادئ الاقتصاد الإسلامي بما يعود بالرخاء والنفع الاقتصادي والثقافي على الفرد والمجتمع)

هيكل الدراسة

قسمت الدراسة على المباحث الآتية:

المبحث الأول: المنطلقات القيَمية للزيارة الأربعينية.

المبحث الثاني: دور الزيارة الأربعينية في مواجهة الإرهاب والأفكار المتطرفة.

المبحث الثالث: الآثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للزيارة الأربعينية.

المبحث الرابع: الخاتمة والاستنتاجات والمقترحات.

المبحث الأول: المنطلقات القيَميّة للزيارة الأربعينية:

تمثل إقامة شعيرة زيارة الأربعين بالسير نحو ضريح الإمام الحسين (عليه السلام) بكربلاء المقدسة في العشرين من صفر من كل عام، استحضارًا للقيم الدينية الإلهية، وتعبيرًا عن مرضاة الخالق عز وجل، فهي زيارة لضريح إمام معصوم للتقرب من الله ورسوله(ص)، وتجديد الولاء لآل بيت النبوة، فيقول نبينا الكريم (عليه الصلاة والسلام) "من زار قبر الحسين، عارفًا بحقه، كتب له ثواب ألف حجة، وألف عمرة. ألا ومن زاره فقد زارني، ومن زارني فكأنما قد زار الله، وحق الزائر على الله أن لا يعذبه بالنار، ألا وإن الإجابة تحت قبته، والشفاء في تربته" (الرازي، 1430: 17) . إنّ ة أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام) تحمل بين ثناياها قيمًا إنسانية وأخلاقية سامية، وهذا هو السبب الرئيس وراء البعد العالمي للثورة الحسينية، التي انبثقت من واقعة الطف في العاشر من محرم الحرام سنة 61 هجرية، وكونها قضية إسلامية لأنها ذات مبادئ شرعية، ومضامين نبوية، مستوحاة من سيرة جده الرسول الأعظم محمد (ص) لاعتمادها على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وتعاليم السنة النبوية الشريفة، ولذلك قدمت الثورة الحسينية مجموعة من المسارات القيَمية الإسلامية والإنسانية، التي يجب التمسك والاقتداء بها، كونها تمثل ديباجة للتعايش على أسس الدين الإسلامي بعيدًا من التطرف، وانتهاك حقوق الآخرين. ولقد أشارت الروايات إلى ذلك، ومنها قول الإمام الصادق (عليه السلام) " اللهم اغفر لي ولإخواني، وزوّار قبر أبي الحسين، الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا،

وسرورًا أدخلوه على نبيك، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظًا أدخلوه على عدوّنا"(الخزاعي، 2020، https://inahj.org/articlesandresearch/1405)، فجاءت زيارة الأربعين لتعطي للناس دروسًا في الولاء الإلهي لآل بيت النبوة، وتبرز قيمًا ترتبط باحترام الذات الإلهية، والتمسك بتعاليم الإسلام الحنيف، ومواجهة أعداء الدين والتطرف، والضرب بيد من حديد على كل من يحاول إبعاد المجتمع عن قيمه الدينية والاجتماعية الأصيلة، لذلك تعد زيارة الربعين إحياء لأصالة قيم الثورة الحسينية، التي يمكن تلخيص أهم منطلقاتها بما يلي :-

1- إنّ العملية الإصلاحية التي استهدفتها زيارة الأربعين، ليست لإصلاح الأوضاع في عصر الإمام الحسين حسب، بل لكلّ الأزمنة، فمعركة الطف هي إشراقة إصلاحية، وتجديد للثورة ضد الظلم والطغيان، واستنهاض للهمم على طغاة العصر، وهز لعروش الحكام الفاسدين، وتهديد للمتسلطين على رقاب المسلمين، وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى هذا المعنى حينما قال" إنّما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمَن أطاعني كان من المرشَدين، ومَن عصاني كان من المهلَكين، وكلّكم عاصٍ لأمري، غير مستمع قولي، لأن بطونكم مُلئت من الحرام، وطُبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون، ألا تسمعون" (المجلسي، ج45: 8) .

2- لقد حملت الثورة الحسينية الكثير من المعاني والدلالات والمبادئ الإنسانية السامية، فهي ليست تلك الثورة والحركة التي حصلت إحداثها ووقائعها قبل ما يقرب من 1400 سنة وانتهت كما تنتهي المعارك غيرها، بل هي استمرار لخط النبوة وفيها ثبات القيم والمبادئ الإنسانية، بعد أن عمل المبطلون على إزالتها، ومن ثمّ فإن الزيارة الأربعينية تمثل ثورة لإنقاذ الدين، وإحياء الشريعة، وإصلاح الأمة الإسلامية، على وفق تعاليم الرسالة المحمدية، إذ أعطت معركة الطف مثالًا يحتذى به في التضحية بالنفس والمال والولد والعشيرة وبذل الغالي والنفيس من أجل رفعة الدين الإسلامي، وبقاء راية الإسلام خفاقة، وتحقيق العدل في الحقوق والواجبات، ويتجسد ذلك بفحوى المقولة على لسان الإمام الحسين (عليه السلام) في الواقعة " أن كان دين محمد (ص) لم يستقم إلا بقتلي، فيا سيوف خذيني" التي يستذكرها المسلمون بذكرى الأربعين لشهادة الإمام (عليه السلام). (مراد، 2019(www.http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/2019/

3- تعبر الزيارة الأربعينية عن سيرة خلقية تنطلق من الإيمان بالله ورسوله وآل بيته الأطهار، وما قدموه للبشرية من قيم أخلاقية تحمل مبادئ الإصلاح والتربية الدينية، لذا تعبّر زيارة الأربعين عن توجهات إصلاحية تحث على بذل كل غال ونفيس، من أجل أحيائها سنويًا. فالممارسات الإيجابية التي تقوم بها جموع المؤمنين من توظيف القدرة المالية لهذه المناسبة، من خلال الصرف المالي على المواكب، وإطعام ملايين الزائرين، وهو عمل يكشف عن قدرة اقتصادية

كامنة في الأُمّة الحسينية، فلا ميزانية مالية، ولا دعم دولة، ولا حزب، وإنّما هو تمويل من جمهور الحسين (عليه السلام) لزوّاره، وهذا التمويل الهائل ما هو إلّا ممارسة وتدريب اقتصادي على الإنفاق الشرعي الذي يمارسه الحسينيون لتحقيق الإصلاح الاقتصادي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وما كان لهذه الممارسة والاستعداد للصرف أن يتم لولا هذه الزيارة المباركة، ولا سيّما إنّ بعض المؤمنين يقاسم زوّار الحسين (عليه السلام) قوت عياله ومؤونته السنوية.(الساعدي،2022 : مقالة العدد)

4- إن الزيارة الأربعينية تقدم رسالة التآخي والمحبة والتعاون على البر والإحسان بين مختلف فئات المجتمع، بل إن هذه الزيارة حفزت الطوائف الدينية الأخرى على تقديم ما تجود به النفس، احترامًا لشخص الإمام الحسين (عليه السلام) وثورته المباركة، كونها ثورة حق لإنصاف المظلوم على الظالم. ويؤكد الدكتور "سامر مؤيد" من جامعة كربلاء أنه مع اتساع مشاعر الحاجة لاقتسام عبق الذكرى، والمشاركة في الزيارة الأربعينية، تنبني جسور الارتباط والتضامن بين الموالين وغيرهم من الطوائف والأديان الأخرى ضمن الوطن الواحد، فتتعالى شحنات الوطنية مع تعالي صيحات "واحسيناه" لأن الحسين قيمة إنسانية ووطنية عليا تتفاعل في كنفه كل أواصر المحبة والإيثار بين الناس أجمعين، وما مظاهر المواكب والزائرين والمسهمين في إحياء مراسم الزيارة من باقي شركاء الوطن، إلا دليل على ارتقاء مباني الهوية والشعور المشترك بين أبناء الوطن الواحد. (إذاعة طهران، الثلاثاء 30 أكتوبر2018 الموقع: (www.https://arabicradio.net/news/

5- تقدم زيارة الأربعين تأكيدًا لمعطيات الثورة الحسينية على صعيد الفرد والمجتمع والأمة في احترامها واعتزازها بإرثها البطولي، وبتراثها العقدي، وإحيائها لقيم الإباء والشهادة في سبيل الله باستذكار نهج العظماء من قادتها الربانيين، ومنهم الإمام الحسين (عليه السلام)، فهي زيارة لتكريس القيم الأخلاقية في المجتمع، فأصبحت محط أنظار واحترام العالم، لأنها تمثل مبادئ الدين الإسلامي الحنيف الرصينة القوية المتراصة التي بينها الإمام (عليه السلام) بوصيته لأخيه محمد بن الحنفية عندما قال" أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي (ص) وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومَن ردّ عليّ هذا، أصبر حتّى يقضي الله بَيْنِي وبين القوم بالحقّ، وهو خير الحاكمين.(المجلسي، ج44، 329)

6- إن الزيارة الأربعينية هي إصلاح للنفس والمجتمع من أية تشوهات قد تنجم عن معطيات النظام الإمبريالي العالمي الجديد، وما يطرحه من أنماط سلوكية غير منضبطة، من خلال المنجزات التقنية والمعلوماتية والبرامج والمواقع

اللاأخلاقية، وشبكات التواصل والقنوات الفضائية، التي تحث على الفساد، والابتعاد عن الله تعالى، والسير بدروب اللغو وسوء الخلق، عن طريق بث سموم الثقافة الغربية المنحرفة التي تقوض الروابط الدينية للمجتمع، وبهذا الصدد تؤكد الزيارة الأربعين على نشر المفاهيم والقيم الإسلامية السمحاء عبر توزيع الكتيبات حول أهمية الزيارة وعظمة صاحب الثورة مع ترجمتها إلى العديد من اللغات، والتوعية الدينية لعامة المسلمين وبخاصة الأجانب منهم بالتعريف بالإمام الحسين وسيرة حياته وإمامته وليس فقط استشهاده.(شويخ، 2019 : 490-491)

7- أن زيارة الأربعين مصداق واضح لتقوية الولاء لآل البيت (عليهم السلام)، والبراءة من أعدائهم، خصوصًا إذا اكتنفتها الشعارات الدالة على ذلك، ممّا يعزّز العنصرين المهمّين في عقيدة الإنسان الحقّة وعمله المقبول، وهذا التولّي والتبرّي يفعله زوّار الحسين (عليه السلام) من خلال إحياء الشعائر التي يمارسونها في شعيرة الأربعين استجابة لأمر آل البيت (عليهم السلام) وغيظًا لأعدائهم. فجاءت الزيارة الأربعينية لتبين إنّ الارتباط بالله تعالى ذو أهمّية بالغة في كلّ القضايا، فهو الهدف الأساس لكلّ قضية، وخصوصًا إذا كانت تغييريّة من منظور إسلامي، لأنّ التغيير فيها يكون على أساس موازين الحقّ والعدل والمصالح الإنسانية الواقعية، وتجنّب المفاسد والأضرار التي يمكن أن تلحق بمسيرة الإنسان. (الساعدي، 2018، (www.https://www.kitabat.info/subject.php.id=125863

8- الزيارة الأربعينية، نهج للحرية ورفض للاستبداد، فكان أحد الشعارات الرئيسة لثورة الإمام الحسين (عليه السلام) دعوته للحرّية في الخلاص من عبادة الطاغوت، والخضوع للطغيان والظلم، ودعوته للإخلاص في عبودية الله، انطلاقًا من قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (سورة النساء، الآية76) .فزيارة الأربعين ولاسيما مشيًا، تمثّل ممارسة عبادية متنوعة طويلة الأمد زمانيًا ومكانيًا، وتشابه إلى حدّ ما الحج، من حيث التنوّع العبادي، والجهد المعنوي، والتعبوي، فتُمارس فيها مجموعة من العبادات كالزيارة، والصلاة . ولاسيما صلاة الجماعة، والتسبيح، والوعظ والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء، ومشقة المشي. وهذه الممارسات العبادية المتنوعة، ولاسيما عند تكرارها، تخلق جوًّا روحيًا عاليًا من خلال ما يحصده المؤمن من الأجر والثواب، ولاسيّما أنّه يتحمّل متاعب المشي، والحرّ والبرد وتورّم الأقدام، وغير ذلك من المصاعب، كما كان يتحمّل الجوع والخوف في زمن الطغاة؛ فهذا يخلق شخصية دينية صلبة الإيمان مؤهّلة لممارسة دورها الشرعي. (الساعدي،2022: مقالة العدد)

9- الزيارة الأربعينية هي ثورة للتعبئة المجتمعية، واستنهاض الهمم لمقارعة الظلم والطغيان، وعدم القبول بالذل والهوان، فالإمام الحسين (عليه السلام) في خطبته الثانية يوم الطف، وهو يعبّئ أصحابه للقتال قال:" ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتيّن: السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وحجور طهرت، ونفوس أبيّة، وأُنوف حمية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام". (ابن نما الحلي، 1950: 40)

10- تعطي الزيارة الأربعينية الدروس المثلى في الجهاد في سبيل الله تعالى، والسير نحو إحقاق الحق، ورفض الباطل، وأن كلف حياة الإنسان انطلاقًا من ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، فالجهاد يُرقي رتبة الإنسان، وهو أنّك تعبد ربّك كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك، ولذلك قال الله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (سورة الحج، الآية78)، ومن سياق الآية الكريمة نجد مفهومًا أوسع للجهاد هو تحمّل التعب والمشقّة، وبذل الطاقة، من أجل إعلاء كلمة الإسلام، وإقامة الشعائر الإيمانية، والدفاع عن الحقّ والعدل، ومقاومة الكفر والطغيان، ومحاربة الباطل والنفاق. ثمّ يؤكّد القرآن الكريم في آيات عديدة حقيقة أنّ الله تعالى لا يحتاج إلى نصرة الإنسان كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)، وإنّما الإنسان هو المحتاج إلى الجهاد والقتال ليتكامل في مسيرته الدينية والذاتية والاجتماعية. ويمكن تلخيص موارد الجهاد التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم والسنّة الشريفة بما يلي: - (ينظر:العتبة الحسينية المقدسة، المبادئ والأسس القرآنية للقضية الحسينية)

1- الدفاع عن النفس: سواء كان دفاعًا عن الفرد، أو الجماعة المسلمة، التي تتعرّض إلى القتل أو الفتنة، بل في حال الدفاع عن المال والعرض أيضًا. عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مَن قُتِل دون مظلمته فهو شهيد». وورد في حديث آخر تفسير المظلمة بأن: «يُقتل دون أهله، ودون ماله، وأشباه ذلك».

2- مقاومة الظلم والطغيان الذي تتعرّض له الأُمّة بدرجة عالية فيستهتر فيها الحاكم بكلّ القيم الإنسانية، ويصادر فيها حرية الإنسان وكرامته وحقوقه الأساسية، كقوله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ).

3- تحرير المظلومين والمستضعفين من أيدي الطغاة والظالمين، قال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا) كما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال «مَن سمع رجلًا يقول: يا للمسلمين! فلم يجبه، فليس بمسلم».

4- مقاتلة البغاة من المسلمين: سواء أولئك الذين يخرجون على الحاكم العادل الجامع للشرائط كما في حروب الإمام علي (عليه السلام) لأصحاب الجمل (الناكثين)، ومعاوية (القاسطين)، والخوارج، أو البغاة من الجماعة المسلمة التي تعتدي على جماعة أُخرى، إذ يجب السعي للصلح بينهما، فإن أصّرت الفئة الباغية على عدوانها وبغيها، وجب على المسلمين أن يقاتلوها، ويقفوا في وجه العدوان والظلم، فتعريف الجهاد شرعًا «هو بذل النفس والمال لإعلاء كلمة الإسلام والإقرار بها، وإقامة شعائر الإيمان، فيدخل في القيد الأخير قتال البغاة، وهو أعظم أركان الإسلام وفضله عظيم»، ومن مصاديق مجاهدة البغاة، مقاتلة أولئك الطغاة الظالمين من المسلمين، الذين يحكمون المسلمين بالجور والظلم والعدوان، كما شهد بذلك موقف الإمام الحسين (عليه السلام) من يزيد بن معاوية.

5- مقارعة الجور والعدوان، فقد ورد عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنّه قال في تفسير موقفه من يزيد: «أيُّها الناس إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: مَن رأى سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرام الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر ما عليه بفعل، ولا قول، كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله. ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله». فهو (عليه السلام) في كلمته قد بيّن مصاديق الحاكم الظالم كما أوردها القرآن الكريم.

المبحث الثاني: دور الزيارة الأربعينية في مواجهة الإرهاب والأفكار المتطرفة.

تقدم زيارة الأربعين أنموذجًا إصلاحيًا تعبويًا في حشد الهمم، ومقارعة الظلم والعدوان، لا من أجل إحياء شعيرة دينية حسب، بل لمواجهة الظلم والعدوان، الذي أتى به الفكر الإرهابي الوهابي المتطرف المدعوم من المخططات الاستعمارية والامبريالية والصهيونية، التي تسعى إلى تشويه الدين الإسلامي الحنيف وضرب مرتكزاته الإنسانية. فالإرهاب المتخفي بثوب الدين، يهدف إلى نفور الناس من الإسلام، وابتعادهم عن الله، ومن ثم يكونون فريسة سهلة للمخططات المعادية للمسلمين. فلم يقدم الإرهاب الوهابي للبشرية سوى الدمار والخراب، وانتهاك الحرمات، والاعتداء على الحقوق، وهذا ما سعت الشعائر الحسينية وفي مقدمتها زيارة الأربعين إلى الوقوف بوجهه.

لقد جاءت زيارة الأربعين لبيان حقيقة مبادئ ديننا الإسلامي الحنيف، ومواجهة التطرف والإرهاب عن طريق استعادة الأفكار السياسية لثورة الإمام الحسين (عليه السلام) عندما قارع طغيان بني أمية لبناء دولة أساسها العدل، والإنصاف، والمؤاخاة بين الناس. فالهجمات الإرهابية تشابه إلى حد كبير ما كان يفعله بنو أمية من ظلم وجور واعتداء وسلب ونهب وقتل للأبرياء واستباحة للحرمات، فكان لا بد من التصدي للأمويين المعاصرين المتمثلين بالحركات الإرهابية التكفيرية بمختلف مسمياتها وعلى وجه الخصوص تنظيم القاعدة الإرهابي، ثم تنظيم داعش الإرهابي الذي أدعى الخلافة الإسلامية من أجل تشويه تعاليم الإسلام ومبادئ الإخاء والتراحم التي جاء بها ديننا الحنيف. (الداود، 2019: 483-485)

لذا حاول الإرهابيون بهجماتهم، ترويع الناس الآمنين، وزهق الأرواح، وتخريب المدن والمؤسسات الخدمية، لأضعاف الزحف الحسيني في زيارة الأربعين، وإيقاف السيل العارم إلى مرقد سبط رسول الله(ص) في العشرين من صفر من كل عام، ولكن خاب فألهم، وفوجئوا بتزايد أعداد الزائرين سنة بعد أخرى، لتؤكد حقيقة الإيمان بمبادئ الثورة الحسينية.

ومن جانب آخر فإن تزايد الهجمات الإرهابية في العراق، يعبر عن هشاشة النظام الأمني للدولة، واختلال بنيتها السياسية والاقتصادية، كونها تهدد حياة المواطنين، وتكرس حالة الخراب والعبث بمقدرات الدولة، وما شهده العراق منذ تغيير النظام السياسي عام 2003 يمثل أبشع صور الإرهاب لتنظيم القاعدة، ثم تنظيم داعش، فللإرهاب مضمونان رئيسان: الأول: لمضمون العسكري المتعلق بالعنف المسلح ضد الإنسانية عمومًا، والثاني: المضمون الفكري والعقدي

المتطرف، الذي يطرح ثقافات متطرفة يحاول فرضها بالقوة على الآخرين، وإقصاء من يخالفها (السلمان، 2018: 12). أما من وجهة النظر الاقتصادية البحتة، فيعرف الإرهاب بأنه تدمير لموارد الدولة المادية والمالية والطبيعية والبشرية، وتخريب لمرتكزاتها المؤسساتية، وبناها التحتية، وزيادة مخاطر رأس المال، وخلق بيئة غير آمنة للاستثمار، ومن ثم تعطيل تنفيذ مشروعات خطة التنمية. (يعقوب، 2013: (erhabeconomy.com

وبذلك يمكن الربط بين أثر الزحف الحسيني في زيارة الأربعين، والتخلف والإرهاب الذي يحاول النيل من كرامة البشر، وجرهم نحو الكفر والعصيان. فالثورة الحسينية هي ثورة على طغاة العصر وإرهابييه الذين يرتدون أقنعة الدين، لتشويه مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وإرجاع المجتمع إلى عهود التخلف والفقر والجهل. من ذلك يمكن المقارنة بين الإرهاب والتخلف من جهة، والاستقرار والإصلاح والعدل والخير لكل الناس من جهة أخرى، الذي نادت به الثورة الحسينية، وأكدته الزيارة الأربعينية في كل سنة.

ويعد العراق من أكثر الدول التي عانت وما زالت تعاني من ويلات الإرهاب، لكونه موطن الرسالات، وأرضه تشرفت بأجساد الأنبياء والصالحين والأئمة الأطهار، فكانت كربلاء المقدسة نبراسًا يستضيء به العالم الإسلامي لأنها احتضنت الجسد الشريف للإمام الحسين (عليه السلام)، فأضحت زيارة الأربعين منارًا للثوار على الظلم في شتى بقاع العالم، ويستلهم فيها الزائرون القيم البطولية للثورة الحسينية في دحر الإرهاب.

ويمكن إبراز أهم الأسس التي تقدمها الزيارة الأربعينية بما يلي:-(الكربلائي، 2018، www.https://masom.imamhussain.org/files/478). (يحفوفي، 2019: 299-307)

1-التلاقح الفكري والتواصل المعرفي: ويعد أحد أهم الركائز التي بنيت عليها الحضارات في شرق الأرض وغربها، وسبب أساس في التعايش السلمي. وزيارة الأربعين توفر فرصة لالتقاء شتى الحضارات، الشرقية منها والغربية، بما يكفل لكل زائر أو صاحب موكب، أن يخرج بحصيلة معرفية ومبادئية متنوعة المصادر، ففيها تجد الشرقي والغربي، ومن شتى الأديان والمذاهب والاتجاهات الفكرية، في حالة من التوائم والتعايش، زد على ذلك أنها تمثل نقطة تلاقٍ بين الشيعة أنفسهم، من شتى بقاع العالم، وبين مبادئهم الإنسانية التي تم اختصارها بعبارة " زيارة الأربعين".

2-تكريس ثقافة العمل التطوعي: إن فكرة العمل التطوعي قد أسهمت في بناء الكثير من الدول الحديثة وتقدمها، فما أحوج بلداننا إلى تفعيل هذه الثقافة. وزيارة الأربعين بما لها من خلفية دينية عاطفية فكرية، تملك من المحركية والباعثية على العمل التطوعي، قدرا يفوق كل الإمكانات المؤسساتية العالمية في هذا المجال، فعلى مدى آلاف الكيلومترات، من جميع الاتجاهات المؤدية إلى كربلاء، تجد الشيبة والشباب، الرجال والنساء والأطفال عدة من أيام في حركة متواصلة، يبذلون جهودا جبارة، وأموالا طائلة، عن قناعة وإخلاص، دون أدنى تذمر أو إحباط، ودون أي أجر مادي دنيوي، في قبال ما يبذلونه لخدمة القضية الحسينية.

3-تكريس ثقافة التكافل الاجتماعي: إن التكافل الاجتماعي، قيمة إنسانية قبل أن تكون مبدءًا دينيًا، فالشارع المقدس قننها وأرشد إليها، ولكن لم يكن مؤسسًا في تشريعها، ويعد هذا المبدأ من أهم المبادئ التي تضمن للإنسان حد الكفاف المعيشي على أقل تقدير، بما يمنحه للإنسان من حياة كريمة بعيدة من الذل والامتهان. لذا إن زيارة الأربعين عندما تجمع بين العمل التطوعي من جهة، والعطاء المادي والروحي اللا محدود وبلا مقابل من جهة أخرى، تبلغ ذروة التكافل، التي لم تبلغها المؤسسات الحكومية والدولية، إذ من أهم السمات التي يكتسبها الإنسان في زيارة الأربعين، هي سمة العطاء الذي يورث خصالا أخلاقية وإنسانية كثيرة، من قبيل الكرم والجود والإيثار، وتغييب البخل والأنانية والحب المفرط للذات.

4-القضاء على التمييز العنصري، وتكريس ثقافة المساواة والتواضع، والتذكير بالأخوة الإنسانية عامة، والإسلامية خاصة. إن التمييز العنصري على أساس اللون والعرق والجنس والانتماء الفكري والديني والمذهبي، يعد من أبرز اللعنات التي أصابت المجتمع البشري عامة، شرقا وغربا حتى أن الدول الحديثة رغم تسارع عجلة التقدم والتطور فيها، ورغم ما شرعته من قوانين للحيلولة دون هذا التمييز، لا زالت تعاني من عنف مادي ومعنوي فيها بسبب العنصرية رغم التكتم الإعلامي الشديد. في حين، تمكنت زيارة الأربعين بما تستمده من الإمام الحسين (عليه السلام) من قيم دينية ومبادئ إنسانية ورصيد فكري رصين، من إذابة جميع الفوارق العنصرية بين الحشود المليونية الزاحفة نحو كربلاء في العشرين من صفر من كل عام، إذ تجد فيهم شتى الجنسيات والقوميات والأديان والاتجاهات الفكرية، وتجد الأسود والأبيض، وقد تشابه الجميع في (المطعم، والمجلس، والمنام، والخدمة ....الخ)، بل يسير بعضهم إلى جنب بعض في أجواء مشحونة بالأخوة والمحبة ونكران الذات، وكأنهم تخلوا عن جميع الفوارق، وانتزع الغل معن قلوبهم بمجرد أن وضعوا أقدامهم على طريق كربلاء، حتى يبلغ ذلك ذروته عندما تجد أن هذه القوميات والأعراق والألوان كل منها يفتخر بأن يكون خادمًا للآخر بروح ملؤها المحبة والعطاء.

5-تمنح الزيارة الأربعينية الفرد الكثير من القيم الإنسانية التي تساعد في بناء مجتمع متماسك، وتمنحه القدرة على الصمود بوجه الصعوبات والمزالق، وتعطيه فسحة للتعبير عن عاطفة ممزوجة بالفكر والتعقل مما يثمر نضجا في المنهج الإيماني والإنساني على حد سواء، وتعزيز القيم الدينية، ومن هذه القيم (ترسيخ الإيمان، والحرية، والعدالة، والصبر، والإيثار والتضحية والتآخي).

ومما لا شك فيه أن لزيارة الأربعين أثرًا كبيرًا في مواجهة الفكر المتطرف، ولا بد من البدء بتعرف الفكر المتطرف ودلالاته وأهم أسبابه، كما يلي: -

أولا: مفهوم الفكر المتطرف وأسبابه:

إن التطرف ما هو إلا فكرة بدأت وتطورت لتصبح منهجًا وطريقًا نحو التطبيق، ولا يمكن التوقف عند مفردة فكرة التطرف فقط، فالأفكار منها ما يكون إيجابي، ومنها السلبي، ومنها ما يقوّم، ومنها يرفض التقويّم. والتطرف هو فكرة

سلبية لها آثار سلبية، فالأفكار التي لا تقبل النقاش، فيتجه الفكر نحو الانغلاق، ومن هنا يكمن الخطر من حيث الغلو في الأفكار، وإمكانية تطبيقها على مجتمع جاهل، لا يستطيع مواجهتها، والرد عليها.

إن مصطلح الغلو في اللغة مأخوذ من غلا يغلو غلوًا وغلايةً، إذا جاوز الأمر حده. ويمكن تعريف الغلو بوصفه مصطلحًا، بأنه ذلك النمط من التدين أو طرح الأفكار، الذي يؤدى إلى الخروج من الدين، وهو قرين للتكلف والشطط والظلال وقد قال الله عز وجل" يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق " (سورة النساء، الآية 171)، فالغلو هو مجاوزة الحد المعقول في كل شيء سواء في الطاعة أو الالتزام أو الإتباع أو العبادة أو في كل نواحي الدين والدنيا (فرج، 2018: 21) .أما التطرف في اللغة فهو يدل على حد الشيء وحرفه، والتطرف: الوقوف في الناحية، ويكون بالابتعاد عن الوسطية، أي: على طرف، والتطرف هو الخروج عن الوسطية والاعتدال إلى الغلو فكرًا وسلوكًا، فيكون هذا المصطلح في الدين، كما يكون في الفكر والسياسة والأخلاق والسلوك وغيرها. (النداوي، أبو الحاج، 2018 :591)

إن أصحاب الفكر المتطرف غالبا ما يدعون أنهم على حق ويدافعون عن أفكارهم المتطرفة ولا يقبلون بأي فكر آخر يناقض أفكارهم، ولا يؤمنون بالتعددية. وفي الدين الإسلامي ظهر الكثير من المتطرفين الذين يشوهون الدين الإسلامي، وهم يدعون أنهم يمثلونه الدين ولكنهم في الحقيقة هم أبعد الناس منه، فالدين الإسلامي هو دين الرحمة والتسامح، ويقبل بالتعددية، ولا يجبر الناس على الدخول في الإسلام، قال تعالى" لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " (سورة البقرة، الآية 256)

أما أهم الأسباب التي تدعو للتطرف الديني فيمكن أن تتمثل بالآتي: - (أبو العباس، 2020: 16)

1- الانحراف عن معايير العدالة والعقلانية، إذ نجد الكثير ممن لا يؤمن بالعقل، وتحكيم العدل والإنصاف، تظهر لديهم الكثير من الأفكار المتطرفة في ظل تغييب العقل والمنطق.
2- يظهر التطرف في ظل المجتمع الجاهل الذي يمكن السيطرة عليه بسهولة في ظل الجهل والتبعية المطلقة؛ فالمجتمع الذي يسود فيه الجهل يضم كثيرًا من السذج والإمعات، ممن يسهل التحكم في عقولهم من خلال التبعية المطلقة لمن يقودهم.
3- إشكالية عدم قبول الآخر؛ إن مسالة عدم تقبل الآخرين، يؤسس لفكر المؤامرة وتآمر الآخر، وهذا ما يجعل المتعصب، يرى كل من يؤمن بأفكار مختلفة أنه عدو وخصم يبحث عن فرصة للانتقام منه.
4- الفجوة المعلوماتية بين أصحاب الأفكار، فالعلماء عامة، وعلماء المسلمين خاصة، منذ عصر التدوين غالبا ما يختارون النصوص، ويختارون ما يرغبون إبلاغ الأمة عنه بما يتماشى مع أفكارهم، ويتركون أجزاء كثيرة من هذا

التراث في الكتب، وقد تسببت هذه الاختيارية المنحازة في تبلور أفكار متطرفة نحو الغلو والمبالغة بعيدا من الوسطية.

5- عدم التفرقة بين النص الإلهي، وأقوال العلماء، فبعض يرى أن أقوال العلماء دين غير قابل للخطأ، أو المناقشة، فتراهم يدافعون عن أقوال العلماء مثلما يدافعون عن النص الإلهي.

6- رواج أحاديث ضعيفة وموضوعة بين المتمذهبين المتعصبين فيها إقرار لهم على ما هم فيه من اختلاف وتنافر، وهناك أحاديث غير صحيحة، أو ضعيفة السند، يستغلها هؤلاء المتعصبون استغلالًا فاحشًا لدعم آرائهم ومواقفهم.

7- عمل كثير من الإرهابيين وأصحاب الفكر المتطرف لصالح جهات تعمل على تشويه الدين الإسلامي، وتعمل لخدمة مصالح الدول العظمى، وتخدم الأفكار المتطرفة، وتسعى لتفكيك المسلمين وإضعافهم، ببث الأفكار الدخيلة على الإسلام، والتي تعمل على تدميره على نحو غير معلن.

ثانيا: دور زيارة الأربعين في محاربة التطرف والإرهاب: –

تقدم زيارة الأربعين منظومة متكاملة من القيم والمبادئ التي تشكل حائط الصد أمام توجهات التطرف والإرهاب، والأفكار الهدامة التي تولد الأحقاد والضغائن بين المذاهب الإسلامية، فشعيرة الأربعين تحمل بين ثناياها مجموعة كبيرة من المراسم الدينية التي تحارب التطرف، يكمن إجمالها بما يلي: – (الشريم، 2021: 43)

1- إنها تمثل فرصة للتلاحم بين مختلف الطوائف والأديان، فهي تجمع مجاميع مختلفة، من أفكار مختلفة، منهم من جاء من دول بعيدة كي يطلع على هذه المراسيم، ويتأكد من حقيقة هذه المناسبة. ومنهم من أراد أن يعيش هذه الأجواء، ومنهم من أراد أن يرد على الاتهامات التي تطال أتباع أهل البيت. إن هذا التلاحم يمثل فرصة للتسامح الديني والتآخي، وترسيخ القيم الإنسانية.

2- إن هذه الزيارة سلمية، وتحمل مشاعر الود والمحبة، لذلك فهي بعيدة من أي مظهر للتعصب والكراهية، وتكون محمية بجهود ذاتية تطوعية من أفراد، كل همهم هو حماية الزائرين، مع وجود الدعم الحكومي، وجهود المنظمات التي تعمل على حماية الزائرين، وتسهيل الزيارة، ومنها العتبة الحسينية، والعتبة العباسية، وكثير من الجهات ذات الجهد التطوعي والإنساني.

3- تعطي الزيارة رسالة أنها ملتزمة بثوابت وقيم ومبادئ قامت من أجلها الثورة الحسينية لمناصرة الحق ضد الباطل، والدفاع عن المظلومين، في كل بقاع العالم، لذلك نجد أن صداها وصل إلى جميع أرجاء العالم، وتشارك بها مختلف

الثقافات، انطلاقا من الشعور الذاتي العميق بالمحافظة على هذه الثورة، والتزام مبادئها العامة، التي تمثل قيمًا إنسانية طالما أزعجت كل ظالم، وكل متطرف.

4- إن هذه الزيارة هي ذات أبعاد كبيرة تتمثل في البعد العقدي، الذي يمثل الاقتداء بآل البيت ومنهجهم العقدي والروحي والفكري، الذي يمثل القيم الإنسانية، والاتجاه المعتدل فكريًا، فهم أفضل من طبق تعاليم الإسلام السمحاء بعد النبي، ومن جانب آخر تمثل الزيارة في بعدها السياسي عدم الرضوخ للاستبداد والطغيان، والبراءة من القتلة والإرهابيين، ورفض كل أنواع الظلم والطغيان.

5- تمثل أيام الزيارة الأربعينية استذكارًا لسيرة أهل البيت (عليهم السلام)، واستلهامًا للعبر والدروس العظيمة في الصبر، ومواجهة المحن، كون الدين الإسلامي جاء ليحافظ على الأنفس والأعراض والأوطان، وأنه خير وفضل للناس كافة، وجاء أيضًا لتسخير الطاقات الكامنة في الأمم والشعوب، لخدمة الإنسان، وهنا نكون بأمس الحاجة إلى خطاب إسلامي معتدل يركز على الدعوة إلى الحكمة والموعظة الحسنة، والاقتداء بأهل البيت (عليهم السلام).

لمبحث الثالث: الآثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للزيارة الأربعينية.

أولًا: الآثار الاقتصادية للزيارة الأربعينية: -يمكن النظر إلى الآثار الاقتصادية من عدة من جوانب، منها ما يتعلق بمجانية الخدمات والأعمال التطوعية لخدمة الزائرين، وكذلك تطور حجم الاستثمار العام والخاص في محافظة كربلاء المقدسة، وتشغيل القوى العاملة، وزيادة حجم الإيرادات السياحية وغيرها من المكاسب الاقتصادية الناجمة عن هذه الشعيرة المباركة ، على النحو الآتي: -

1- مجانية الخدمات والأعمال التطوعية للزائرين:- يرى بعض أن الخدمة المجانية للزوار، وتقديم الأكل والمنام مجانًا يسببان خسارة كبيرة من وجهة نظر اقتصادية بحته، ولكنه يغفل أن ما يقدم للزوار باستمرار ولاسيما من أصحاب المواكب الحسينية الكبرى، أغلبه من مصانع ومزارع عراقية مثل الماء والعصائر والأسماك واللحوم والمعجنات والأجبان والبيض والمنتجات الزراعية الأخرى من خضار وفاكهة، إذ يقف خلف إنتاجها طابور كبير من الأيدي العاملة العراقية في سنة كاملة، ورؤوس أموال أعُدت لهذه الزيارة، التي يرى فيها المؤمنون الفرصة المثلى للاستثمار من أجل التقرب إلى الله ومرضاته كقوله تعالى:(وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِم) (سورة البقرة، الآية 265)، وقوله تعالى:(الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (سورة البقرة، الآية 274)، مما ولد حركة ديناميكية أنعشت النشاط الاقتصادي، وساعدت في وضع الأموال في عجلة

الدورة الاقتصادية، وحين تنتهي الزيارة تستعد الطاقات الإنتاجية من جديد للتحضير للسنة القادمة، وهكذا تستدام النهضة الاقتصادية الحسينية، ولاسيما معامل الماء، والعصائر، وبحيرات الأسماك، وتربية الحيوانات، ومزارع الفاكهة، وبساتين الخضرة، فضلًا عن مجال الاتصالات والمحروقات والطاقة، وهذا كله يساعد في تسابق تدفق الأموال إلى الأسواق المحلية، وتشغيل المزيد من الموارد البشرية العاطلة عن العمل. ومن ثمّ فأن ما يقدم مجانًا للزائر هو بالحقيقة قد تم إنتاجه، أو شراؤه، أو دفع أثمانه، وبذل مجهود اقتصادي في سبيل الله، لتحقيق غايات أكبر من الربح المادي، لا يفهمها إلا من استلهم حقيقة قيم الثورة الحسينية، ليبذل كل غال ونفيس، خدمة لإحياء ذكراها في العشرين من صفر، وهو متيقن بأنه سينال شفاعة أهل البيت (عليهم السلام) في الدنيا والآخرة. ويمكن النظر إلى الآثار الاقتصادية للزيارة الأربعينية من عدة من جوانب، منها تزايد حجم الاستثمار، وتشغيل القوى العاملة، وزيادة حجم الإيرادات السياحية، وغيرها من مكاسب اقتصادية، كما يأتي: -

أ – تطور حجم الاستثمار العام والخاص: فيما يتعلق بالاستثمار توضح بيانات هيئة الاستثمار أن حجوم الاستثمار في محافظة كربلاء تزايدت في السنوات الأخيرة على نحو كبير، إذ يلاحظ من خلال الجدول ذي العدد (1) أن حجم الاستثمار العام قد تزايد على نحو كبير خلال المدة (2013 – 2019)، فبعد أن كان حجم الاستثمار العام (183) مليار دينار في عام 2013 ، ازداد على نحو مستمر حتى وصل إلى(258) مليار دينار عام 2019، وتوضح معدلات النمو الإيجابية هذا التطور، إذ كانت جميع المعدلات موجبة ما عدا عام 2016 الذي شهد تراجعا بمقدار(11.06%) بسبب الأوضاع الاقتصادية غير المستقرة، ومحاربة الإرهاب، وانخفاض أسعار النفط، في حين تحقق أعلى معدل نمو في عام 2017 إذ وصل إلى(14.51%) بسبب توجه الاستثمار في مجال السياحة الدينية وتحسن الوضع الأمني في البلد.

الجدول ذو العدد (1)

تطور حجم الاستثمار العام والخاص في محافظة كربلاء للمدة (2013 – 2019) مليار دينار

السنوات	حجم الاستثمار العام	معدل النمو %	حجم الاستثمار الخاص	معدل النمو %
2013	**183**	**-**	**81**	**-**
2014	**204**	**11.48**	**87**	**7.41**

10.34	**96**	**6.37**	**217**	2015
16.67	**112**	**(-11.06)**	**193**	2016
9.82	**123**	**14.51**	**221**	2017
18.70	**146**	**8.60**	**240**	2018
8.22	**158**	**7.50**	**258**	2019

المصدر / هيئة استثمار كربلاء، أقيام الاستثمار العام والخاص للمدة(2013-2019)، بيانات غير منشورة.

من جانب آخر كان لاستثمار القطاع الخاص في محافظة كربلاء المقدسة دورًا فاعلًا في النهضة العمرانية المرتبطة بتشييد المرافق السياحية كالفنادق الفاخرة، ومطاعم الدرجة الأولى، فضلًا عن المرافق السياحية الأخرى، وبيانات الجدول أعلاه، تشير بجلاء إلى تزايد حجم الاستثمار الخاص على الوتيرة نفسها، ولكن بحجم أقل خلال السنوات نفسا، إذ ازداد حجم الاستثمار الخاص من(81) مليار دينار إلى(158) مليار دينار بمعدلات نمو مرتفعة كان أعلاها في عام 2018 فبلغ حوالي (18.7%)، مما يوضح تزايد حجم الاستثمار العام والخاص في محافظة كربلاء في السنوات الأخيرة، ويبرز الفرص الاستثمارية في ظل بيئة استثمارية مشجعة، كان أحد أهم أسبابها هو الزيارة الأربعينية.

ويبين الشكل ذو العدد (1) تطور حجم الاستثمار العام والخاص في محافظة كربلاء للمدة (2013 – 2019).

الشكل ذو العدد (1)

تطور الاستثمار العام والخاص في محافظة كربلاء المقدسة

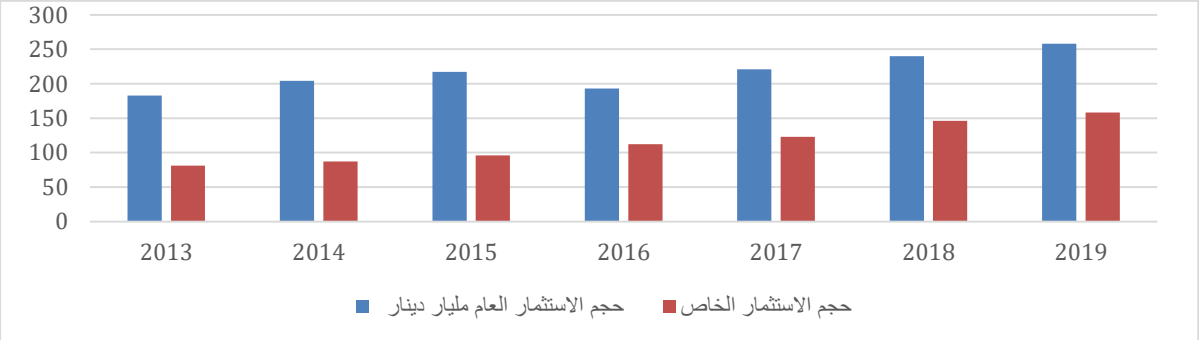

المصدر: الشكل بالاعتماد على بيانات الجدول (1)، وباستخدام برنامج (EXCEL)

ب –تطور أعداد القوى العاملة: انعكست الزيارة الأربعينية على نحو إيجابي على تشغيل القوى العاملة بفضل بركات هذه الزيارة، وما تمخض عنها من حركة تنموية في الإنتاج والطلب والاستثمار والنقل والتجارة الداخلية والخارجية، مما أسهم في تقليص حجم البطالة في محافظة كربلاء المقدسة.

ويوضح الجدول ذو العدد (2) تزايد أعداد القوى العاملة الوطنية من(89023) عاملا عام 2013، إلى(100638) عاملا في عام 2019، بمعدلات نمو إيجابية، عدا عام 2016 الذي شهد تراجعا في معدلات نمو التشغيل بحدود (2%) نتيجة لانخفاض معدلات الاستثمار العام في المحافظة كما نوهنا سابقًا، أما بقية السنوات فكانت معدلات نمو التشغيل تتراوح ما بين (2.25%) و (3.42%)، وهي معدلات نمو تشغيل مرتفعة بفضل الزيارة الأربعينية التي أدت إلى تزايد الحركة التجارية والاستثمارية في المحافظة. من جانب آخر كان هناك تزايد مستمر للقوى العاملة الأجنبية في محافظة كربلاء، فازدادت أعداد القوى العاملة الأجنبية في كربلاء من (1219) عاملا أجنبيا عام 2013 إلى نحو(2891) عاملا أجنبيا عام 2019، وكانت معدلات النمو في تزايد مطرد تراوحت بين (7.3%) و (26.58%) كما موضح بالجدول الآتلي.

الجدول ذو العدد (2)

تطور أعداد القوى العاملة الوطنية والأجنبية في محافظة كربلاء للمدة (2013 – 2019)

السنوات	عدد القوى العاملة الوطنية	معدل النمو	عدد القوى العاملة الأجنبية	معدل النمو
2013	89023	-	1219	-
2014	91533	2.82	1308	7.30
2015	93588	2.25	1521	16.28
2016	91724	-1.99	1662	9.27
2017	94218	2.72	2076	24.91
2018	97310	3.28	2284	10.02
2019	10063	3.42	2891	26.58

المصدر / وزارة العمل، مكتب تشغيل كربلاء

الشكل ذو العدد (2)

تطور تشغيل القوى العاملة الوطنية والأجنبية خلال المدة (2013 – 2019)

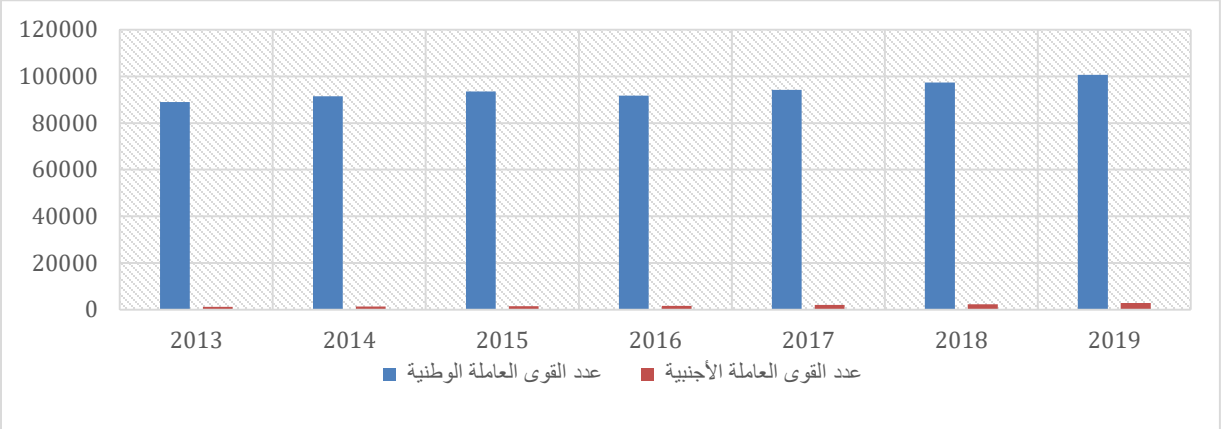

المصدر: الشكل بالاعتماد على بيانات الجدول ذي العدد (2) وباستخدام برنامج (EXCEL)

ت –تطور السياحة الدينية في كربلاء المقدسة: يمكن النظر لتطور السياحة الدينية من خلال الزيادة في أعداد الفنادق بوصفه أحد المؤشرات التي تعكس التطور في القطاع السياحي، إذ بلغت أعداد الفنادق(594) فندقًا عام 2012 ثم تزايدت على نحو مستمر خلال المدة (2013 – 2019) لتصل إلى(723) فندقًا عام 2019 بمعدلات نمو متزايدة تراوحت بين (1% –3.7%)، وهذا يؤشر تزايد الاستثمار في القطاع السياحي، وزيادة إقبال السائحين على كربلاء المقدسة، بفضل العتبات المقدسة، والزيارات الدينية، وفي مقدمتها زيارة الأربعينية.

الجدول ذو العدد (3)

تطور أعداد الفنادق في كربلاء للمدة 2012 – 2019

السنوات	أعداد الفنادق	معدلات النمو %
2012	594	-
2013	599	1.01
2014	611	2.00
2015	634	3.76
2016	651	2.68
2017	674	3.53
2018	699	3.71
2019	723	3.43

المصدر / هيئة استثمار كربلاء، بيانات غير منشورة.

الشكل ذو العدد (3)

تطور أعداد الفنادق في كربلاء المقدسة خلال المدة (2012 – 2019)

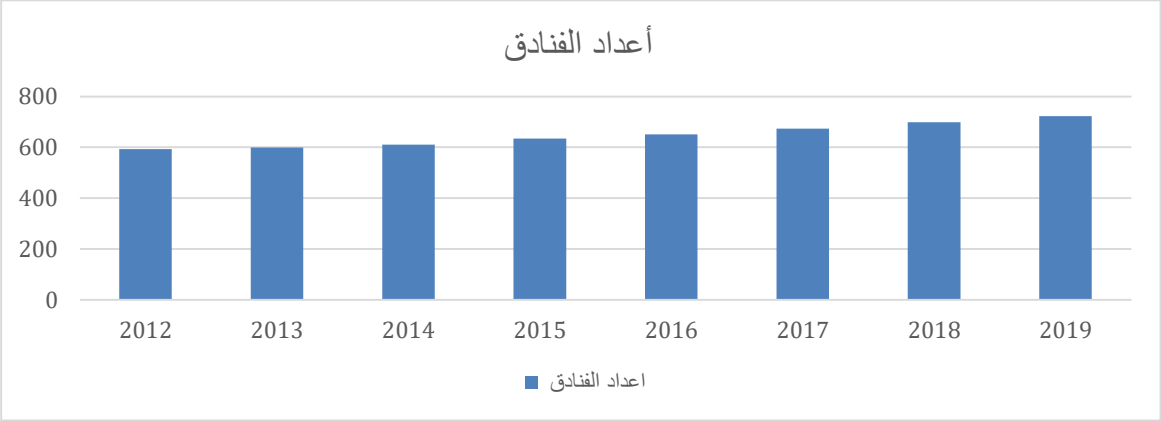

المصدر: الشكل بالاعتماد على بيانات الجدول ذي العدد (3) وباستخدام برنامج (EXCEL)

ث –تطور أعداد الزائرين للزيارة الأربعينية: إن التزايد المضطرد في أعداد الزائرين إلى محافظة كربلاء ولاسيما في أثناء الزيارة الأربعينية، كان له الأثر الكبير والفعال في تنشيط القطاعات الاقتصادية على نحو عام، والقطاع السياحي على نحو خاص، ممثلًا بالفنادق والمطاعم والمواصلات والاتصالات وتجارة الجملة والمفرد.

ويلحظ من خلال الجدول ذي العدد (4) أن أعداد الزائرين في عام 2018 حوالي (15,810) مليون زائرًا، منهم(13,675) زائر عراقي، والباقي (2,135) من الأجانب، وهو عدد كبير بلا شك في محافظة صغيرة الحجم نسبيا مما يشكل ضغطًا كبيرًا على المحافظة. وازداد هذا العدد إلى(18,594) مليون زائر في عام 2019، منهم(15,103) مليون زائر عراقي مع(3,491) مليون زائر أجنبي، بيد أنه في عام 2020 نتيجة لتفشي وباء كورونا(**COVID**-19) وتشديد إجراءات الحضر، فقد تراجع أعداد الزائرين العراقيين والأجانب إلى (13,094) مليون زائر، بمعدل انخفاض وصل إلى حوالي (29,6%). إلا إن أهمية الزيارة الأربعينية في نفوس المسلمين داخل العراق وخارجه، لم يقلل الحماس لدى محبي آل البيت رغم مخاطر الوباء المتفشي. فأثارت الزيارة الأربعينية في عام 2020 ،

استغراب العالم أجمع، لعظمة هذه الزيارة، وتمسك المؤمنين الموالين بإتمام هذه الشعيرة رغم صعوبة الظروف الصحية من جانب، وما نتج عنها من عدم حدوث أي كارثة وبائية بفعل تزاحم زوار الأربعين من جانب آخر، كل ذلك جاء ببركات الإمام الحسين تجاه زواره في هذا اليوم العظيم، فالله جل في علاه قد حما زوار الأربعين من هذا الوباء، وهي كرامة من كرامة الإمام الحسين (عليه السلام).

وفي عام 2021 ازداد عدد الزوار إلى(15,957) زائر منهم(14,532) زوار عراقيين، والباقي (1,425) زائرًا من الأجانب، وتعود أسباب الزيادة إلى تحسن الأوضاع الصحية نسبيًا، وكذلك انتشار اللقاحات، بيد أن الوازع الديني يبقى هو الحافز الأكبر في تأدية مراسيم هذه الزيارة المقدسة.

الجدول ذو العدد (4)

عدد زوار الأربعين في مدينة كربلاء المقدسة خلال المدة (2018-2021)

السنوات	أعداد الزائرين العراقيين	الزائرين الأجانب	إجمالي عدد الزائرين
2018	13,675	2,135	15.810
2019	15,103	3,491	18.594
2020	12,360	0,734	13.094
2021	14,532	1,425	15.957

المصدر / بيانات تقديرية صادرة عن مركز محافظة كربلاء – دائرة الإحصاءات

الشكل ذو العدد (4)

تطور عدد زوار الأربعين خلال السنوات (2018-2021)

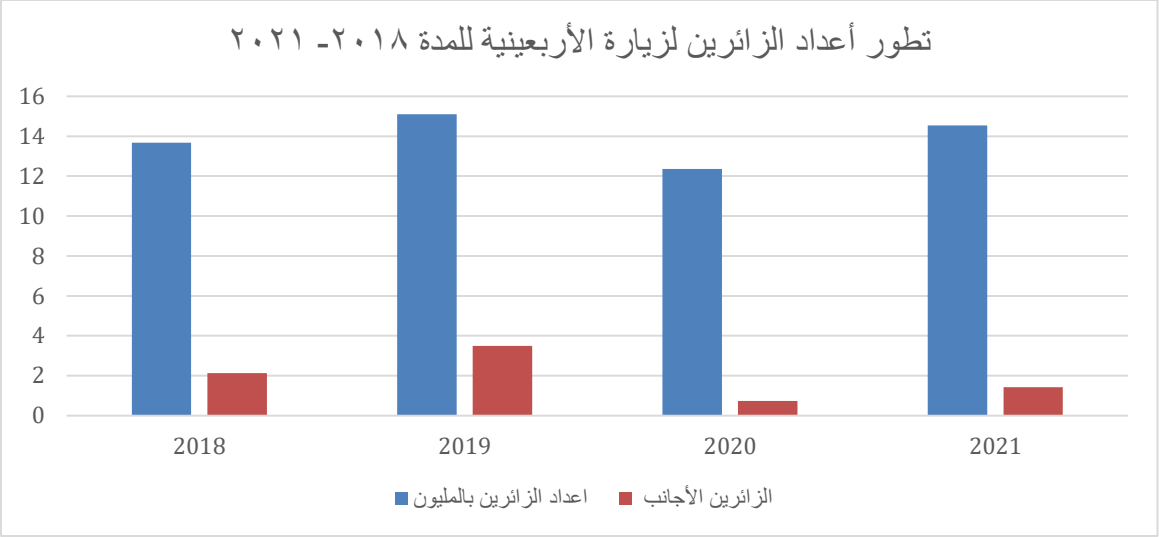

المصدر: الشكل بالاعتماد على بيانات الجدول ذي العدد (4) وباستخدام برنامج (EXCEL)

ثانيًا: الآثار الاجتماعية للزيارة الأربعينية:- من الناحية الاجتماعية تعد زيارة الأربعين مناسبة دينية لتعارف الناس، وإقامة العلاقات الودية بينهم، ولزيادة روابط المحبة، إذ تحولت الزيارة من مجرد مسيرة على الطريق، إلى سبب مباشر لتوثيق أواصر العلاقات بين الناس بمختلف ألوانهم وأشكالهم وأعراقهم وأعمارهم وأجناسهم، إذ أصبحت خدمة زوار الإمام الحسين (عليه السلام) بابًا واسعا لتوثيق العلاقات بين الخادم والمخدوم في هذه المناسبة المباركة، التي ينتظرها الجميع ويتشرف بأداء مراسيمها وخدمتها، فيقومون بها بكل محبة وإخلاص واحترام وتذلل، مما جعل منها فرصة مناسبة لبقاء الأواصر وتكرار التواصل في كل أيام السنة، حتى وصل توثيق العلاقات الاجتماعية بينهم إلى حد المصاهرة بين الأسر؛ لذا أضحت زيارة الأربعين سببًا لتوثيق وشائج العلاقات الاجتماعية بين الناس، بل تعدت ذلك لتكون سببًا بمعرفة تقاليد وأطباع بعض لبعض آخر، وسببا لمعرفة صفات أهالي المناطق المختلفة، بل وأصبحت سببًا لمعرفة تفاصيل المناطق والعشائر والمدن في مناطق العراق كافة من جنوبه حتى أقصى شماله، وكذلك المسلمين من خارج العراق. وقد أصبحت الزيارة محطة ينتظر الوقوف عندها أغلب أتباع أهل البيت. وكثيرًا ما نرى ونسمع الأسر تنتظر أصدقائها الزوار بفارغ الصبر، وإذا تأخر الزائر لسبب ما، نرى (المضيِّف) حزينا وقلقًا في ذلك اليوم، بل هناك من يحاول جاهدا أن يشارك في المسيرة، لكي يلتقي إخوانه وأصدقائه الذين كانوا معه في الزيارات السابقة. وقد لا يعد مبالغة إذا قلنا: إن في ليالي الذروة في بعض المحافظات، التي تقع على طريق المسيرة الحسينية، يكاد لا يخلو بيت من بيوت أبناء تلك المحافظة من ضيوف أبي عبد الله (عليه السلام)، ولا فرق في ذلك بين عراقي وغير عراقي، فالجميع أخوة في رحاب الحسين ((عليه السلام)). (إذاعة طهران، الخميس (2022/7/21) www.https://arabicradio.net/news/)

إن من بين أهم ما نستخلصه من وقائع أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)، هو درس التكافل الاجتماعي العظيم، الذي يشهد حضورا لافتا في أيام هذه الزيارة، إذ يتبارى الناس أفرادًا وجماعات، لتقديم الطعام والشراب والمأوى، ومعظم الاحتياجات الأخرى للزوار، في صور رائعة ومشرقة للسجية الإنسانية لدى أبناء العراق الكرماء، النابعة من أصالة هذا الشعب، وتربته الطاهرة، وشيم الخير والتعاون والمحبة والتآلف التي تربى عليها، والرافضة لجميع مظاهر التعنت والقسوة والأنانية، وهذه مزية ينبغي استغلالها لتطوير البلد، والمزج بين الفكر والعمل لتطوير نوع السلوك المجتمعي.

ثالثًا : الآثار الثقافية للزيارة الأربعينية:- إن انشغال الآلاف من أتباع أهل البيت في المسير، والخدمة، والأسلوب الذي تقدم به هذه الخدمة، وطول المسافات بين مكان الزائر ومقصده، الذي يصل إلى نحو خمسة عشرة يومًا في أدنى الحدود، مما يجعل منه سفرًا شاقًا يتطلب العزم والإصرار على الوصول، وهذا عامل مهم في حياة الإنسان، ولاسيما الشباب اليافع؛ وحتى الذين يقدمون الخدمة بتواضع ورضا كامل، يخصصون أيامًا في خدمة مجانية للزوار، ويترك هذا العمل آثارًا نفسية وروحية كبيرة في سلوك الإنسان، سترفع من معنوياته، وتعزز الطاقة الإيجابية لديه، لأنه درس من دروس الثورة الحسينية، ودرس اجتماعي سلوكي بليغ الأهمية. وقد لوحظ من خلال البيانات الرسمية أن نسبة الجرائم والمخالفات تكاد تنعدم في طريق زوار الأربعين رغم الأعداد الغفيرة، والمشقة الكبيرة، التي قد تسبب توترا وشدا نفسيا لدى بعض بسبب قلة التحمل، ورغم ذلك ترى الخلاف تماما، فالتعامل قد يصل إلى مستوى أخلاقي راق يعجز الإنسان عن وصفه، ناهيك عن قدرة التحمل عند الزائر الحسيني، الذي يشاهد الطفل، والشيخ المسن، والنساء العجائز، يسعون بمشقة نحو بلوغ مرضاة الله في هذه الزيارة، فيعزز ذلك في نفسه القوة والعزيمة والصبر، التي تفرضها ظروف المسير الطويل نحو قبر سيد الشهداء (عليه السلام).

هذه شذرات من الآثار الثقافية للزيارة الأربعينية، وهي قطرة من بحر حقيقة تأثير زيارة الأربعين في بعدها الروحي والعبادي، نسأل الله بحق الحسين وأصحابه أن يديم هذه النعمة التي يجهل بعض آثارها. وأن يحفظ العراق وأهله ببركة الحسين (عليه السلام)، وزيارة الأربعين المباركة، ويمكن إبراز أهم الآثار الثقافية المتولدة من الزيارة بالآتي:-(شبكة نبأ- الثلاثاء 2015/10/27 (**www.https://annabaa.org/arabic/**)

1 – إن إقامة الفعاليات الثقافية المتنوعة تضاعف وعي الزائرين، ولاسيما ما يتعلق بإخضاع السلوك وربطه بالفكر الحسيني، وعدم جعل طقوس هذه الزيارة آلية، بل دينية ثقافية لتعضيد القيم الصحيحة، مع تأكيد نشر الثقافة الحسينية بين جموع الزائرين، مبدئيا وعمليا، فإننا نضمن تصحيحا كبيرا على مستوى المجتمع عامة، وترسيخًا قيميًا لسلوكيات دينية متحضرة تستلهم الاحترام والتقدير والسيرة الحسنة.

– 2محاربة مظاهر الفساد بأنواعه وأشكاله كافة، كونها مرفوضة تبعا لمبادئ الحسين (ع)، فإذا تم إصلاح مزيد من الناس، فإن فساد الفاسدين سوف يتم حصره في زاوية ميتة، مع حث الزائرين، وهم بالملايين، على ضرورة التزام ما سعى إليه الإمام الحسين (عليه السلام)، وضحى من أجله بنفسه وذويه وصحبه (عليهم السلام).

– 3عدم استثناء أي مؤسسة أو منظمة مجتمعية من تطوير نشاطها الثقافي، فجميع الجهات الثقافية المعنية بتطوير الناس تقع عليها مسؤولية استثمار زيارة الأربعين، لتحقيق قفزة واضحة بمستوى التفكير والسلوك.

إن زيارة الأربعين تعد مؤتمرا عالميا عنوانه أسمى معاني الحرية والعزة والكرامة، ويحمل من المفاهيم الأخلاقية والدينية والمعنوية والاجتماعية الكثير بما يغني طريق الإنسانية بالعديد من الرايات والبيارق الحسينية في طريق بناء المجتمع القوي المتماسك؛ إذ تستعرض الزيارة دروسًا ثقافية متنوعة أهمها ثقافة العمل الطوعي بما يخدم تطور المجتمعات، وثقافة التعايش السلمي والانفتاح على الآخرين، وثقافة التعامل على وفق مبدأ الإنسانية، وثقافة البذل والصرف في سبيل الله، والإنفاق على حبه.

إن الزيارة ليست طقسًا جامدًا من مراسم العزاء والحزن والبكاء، وإنما هي عملية تأمل في كيفية مواجهة الظلم وبذل كل غال ونفيس سواء بالأرواح أم بالأموال. وهي عملية تفاعلية تكسر الجمود والسلبية في تأطير القضية الحسينية بتجلياتها المادية الحسية بعيدًا من عناصرها المتفاعلة في تسطير خلود الدم، وانتصاره على السيف. وتدفع البصيرة بمسار التزام القيادة قدمًا، والإيمان بما يجعلها تمتثل أوامرها، وتجدد معها البيعة في ساحات الجهاد، وهذه البصيرة هي التي صنعت محور المقاومة في الثورة الحسينية.

الخاتمة والاستنتاجات والمقترحات

أولًا – الخاتمة :

تعد الزيارة الأربعينية استنهاضًا للقيم والمبادئ التي قدمها الإمام الحسين (عليه السلام) وسار بسيرة جده رسول الله(ص) في معركة الطف بوجه دعاة الفكر المتطرف الكافر المتمثل بالطغيان والإرهاب الأموي، الذي حاول إطفاء نور بيت النبوة المحمدية، فأبى الله ألا أن يتم نورهِ بشهادة الحسين (عليه السلام)، ورفع راية الإسلام خفاقة عالية، فقال الله عز وجل: يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ(**33**) (سورة التوبة) . من هنا يستلهم العالم أجمع، والمسلمون خاصة، من زيارة الأربعين، أنموذجًا في الصبر والثبات على المبادئ ومواجهة الموجات التكفيرية مؤطرًا بنشر رسالة التآخي والمحبة، وتناسي الأحقاد والخلافات، وبث روح التعاون والتكافل الاجتماعي بعيدًا من التمييز العنصري، وخلق مجتمع متماسك فكريًا وروحيًا وإنسانيًا، وليوفر أرضية خصبة للعطاء المادي والمعنوي، ويتحقق فيها النفع الاقتصادي للفرد والمجتمع والدولة بأكملها، كون زيارة الأربعين بما تحمله من قيم دينية وإنسانية تولد نشاطًا إنتاجيًا يقابل الطلب المتزايد على السلع والخدمات التي يحتاجها الزائرون في إحياء هذه الشعيرة المباركة مدة تبدأ من الأول من صفر حتى موعد

الزيارة الأربعينية في العشرين من صفر وما بعدها بأيام. وإن هذه المنظومة المترابطة من الطلب والإنتاج، تحفز على الاستثمار في توفير متطلبات الزيارة من مختلف السلع والمواد اللازمة لإعداد الوجبات السريعة، وتشييد المواكب والخيام فضلًا عن المنتجات الغذائية الزراعية والصناعية، ناهيك عن تنشيط حركة السياحة الدينية للفنادق والمنتجعات السياحية والسكنية في محافظة كربلاء والمحافظات المجاورة لها، كما يعني ذلك توفير فرص للعمل وأداء للواجبات الخدمية، مما سيشكل مصدرًا دخليًا ماديًا كبيرًا للكثير من الأفراد والشركات والمعامل التي توفر متطلبات الدعم المادي واللوجستي لزوار أبي عبد الله الحسين (عليه السلام). يزاد على ذلك، الروابط والعلاقات الاجتماعية والثقافية، وما تبعثه أيام الزيارة الأربعينية من تثقيف ديني، وتعارف وتآخ ومحبة، تولد أواصر اجتماعية تتواصل فيها العلاقات، وتتسع الروابط الاجتماعية بين الأفراد والأسر حتى بعد انتها الزيارة. وبهذا فقد تحققت الفرضية التي انطلقت منها الدراسة، وهي أن زيارة الأربعين تمثل عطاءًا روحيًا يكرس ترسيخ القيم الإنسانية للدين الإسلامي الحنيف ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، والتي تتحقق بموجبها آلية تطبيق مبادئ الاقتصاد الإسلامي بما يعود بالرخاء والنفع الاقتصادي والثقافي على الفرد والمجتمع.

. ثانيًا – الاستنتاجات:

خلصنا من المباحث الثلاثة للدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن إيجازها بالآتي: –

1 – تعد زيارة الأربعين من أهم الشعائر الدينية في العراق، بل العالم، لحجم الزائرين، ومدة الزيارة، وما يتم إعداده لها من خدمة وطعام، وتوفير جميع المتطلبات المادية والمعنوية من مأكل ومشرب ومسكن، وخدمات لوجستية تمتد على مسافات طويلة تجاوزت الخمسمئة كيلو متر، يقطعها زوار الأربعين من جميع البلدان، ومن شتى الاتجاهات، سعيًا لتجديد عهد الولاء للثورة الحسينية، عند مرقد أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) سيد الشهداء في كربلاء المقدسة، إذ جاءت عظمة هذه الزيارة من عظمة قائدها الإمام الحسين (عليه السلام) الذي سجل أروع صور البطولة والفداء والتضحية بالمال والنفس والعيال، من أجل إعلاء كلمة الله، ودحض قوى الشر والضلالة.

2–إن زيارة الأربعين هي تجديد للدماء الطاهرة التي أريقت في يوم العاشر من محرم الحرام سنة 61 هـ، فأصبحت الزيارة بمنزلة ثورة حسينية مليونية تستلهم قيمها ومبادئها من ثورة الحسين (ع) في الوقوف بوجه الظلم والطغيان الذي يمارس ضد المسلمين في شتى ربوع المعمورة، حتى أضحى الإمام (عليه السلام) نبراسا للمظلوم على الظالم، فتستذكر بطولات واقعة الطف الخالدة وكيف واجه معسكر الحسين، وعيال آل بيت الرسول (عليهم السلام)، جيوش وطغيان بني أمية، وكيف انتصر الدم على السيف.

3– تحقق زيارة الأربعين مجموعة من المكاسب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على مستوى الفرد والمجتمع والدولة، فلهذه الزيارة المباركة الفضل في توليد فرص التشغيل لحجم كبير من القوى العاملة العاطلة عن العمل، وتوفير فرص العيش الكريم بفضل الإنتاج المتواصل للسلع الغذائية الزراعية والصناعية، التي يحتاجها زوار الحسين في الأربعينية، فزيادة الطلب والاستهلاك، تولد زيادة في الإنتاج والاستثمار والتوظيف والأجور، فتنتعش الحركة الاقتصادية، فضلًا عن نمو حركة

التجارة والنقل والسياحة الدينية، أما من النواحي الاجتماعية والثقافية، فتخلق الزيارة الأربعينية أجواءً من الألفة والمحبة بين الناس، بل تتوطد العلاقات وتصل إلى مستوى المصاهرة بين الأسر، وتؤدي زيارة الأربعين إلى تطور الندوات العلمية والفكرية والمناقشات والمؤتمرات التي تستقرئ الأحداث التي لحقت الثورة الحسينية، وفي مقدمتها زيارة الأربعين.

4-هناك مشكلات مهمة واجهت، ولا زالت تواجه زوار الأربعين، رغم الجهود الكبيرة المبذولة من الأفراد والمجتمع والعشائر والحكومة، وفي مقدمة هذه المشكلات: لم يتم إعداد خطة تحل أزمة نقل الزائرين في أعقاب انتهاء الزيارة الأربعينية، فمعضلة الزخم المروري، ورداءة الطرق، وابتعاد وسائل النقل (حافلات النقل) عن موقع الزيارة أكثر من خمسة كيلوات مترات، وقلة ما متاح لدى العتبات المقدسة من سيارات لا تفي بأكثر من 3% من حجم الحاضرين قرب المراقد الشريفة في كربلاء المقدسة.

ثالثًا –المقترحات:

1 – تنمية الروح التعاونية لدى أفراد المجتمع، وحث الشباب على التطوع في تشكيلات مناطقية معدة لها مدن سكنية خاصة بالزائرين على طول طريق الزيارة الأربعينية من أقصى حدود العراق في المحافظات الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية وصولًا إلى كربلاء، بوصفها محطات استراحة مركزية لخدمة المواكب الحسينية، ويكون هدف هذه المناطق والتشكيلات، التنسيق مع سكان المدن في التعاون لتلبية احتياجات زوار الأربعين، وهي رسالة محبة إيمانية تبث من أرجاء العراق كافة.

2 – كون الزيارة الأربعينية مليونية، وبطور التزايد سنة بعد أخرى، يجب على الحكومة الاستعانة بتجارب الدول الأخرى، في حل مشكلة نقل زوار الإمام الحسين عقب انتهاء زيارة الأربعين المليونية. فإهمال حل هذه المشكلة يزيد من المعاناة، ويعطي صورة سيئة عن طبيعة الخدمات المقدمة لزوار الأربعين، وفي هذا الجانب يجب أن تلقى المسؤولية على وزارة النقل، والحكومات المحلية لمحافظة كربلاء والمحافظات المجاورة لها (النجف وبابل والديوانية وواسط) من حيث توفير مختلف وسائط النقل من سيارات وقطارات وطائرات، مع توسيع المرآب المركزي في كربلاء، وزيادة أعداد السيارات التابعة للعتبتين الحسينية والعباسية، مع الاستعانة بخدمات النقل للعتبات والمراقد المقدسة المجاورة لمحافظة كربلاء في نقل الزائرين من قرب ضريح الإمام إلى المحافظات القريبة لتقليل الزخم عن محافظة كربلاء المقدسة أثناء أيام الزيارة الأربعينية.

3 – تنمية روح المبادرات الخيرية وزيادتها على نحو تقدم خدمات مجانية خلال أيام الزيارة الأربعينية ابتداءً من الأول من صفر، ولاسيما فيما يتعلق بتوفير خدمات النقل المجانية للزائرين غير القادرين على المشي من المحافظات البعيدة، في قوافل خدمة الزائرين، ومساعدتهم وإيصالهم إلى محافظة النجف على أقل تقدير ليكون مشي هؤلاء محصورًا من مرقد الإمام علي (عليه السلام) في النجف الأشرف، إلى مرقد الإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس عليهما السلام في كربلاء المقدسة، بمسافة تسعين كيلو متر تقريبًا.

4 – تعزيز الجانب الأمني والاستخباراتي بما يعزز الطمأنينة والأمان لجميع الزائرين، وسد جميع الثغرات الحدودية من الجهة الغربية لمحافظتي كربلاء والنجف، لمنع تسلل العناصر الإرهابية التي تحاول النيل من قدسية الزيارة الأربعينية، وزوار الأربعين، مع ترسيخ قيم الثورة الحسينية في مواجهة الحركات الإرهابية المتطرفة.

المصادر

القرآن الكريم، كتاب الله تعالى

1- ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، 1950 (مثير الأحزان ومنير سبل الأشجان) المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

2- أبو العباس، د. جميل، 2020 (المتطرفون: التطرف الفكري: نشأته، أسبابه، آثاره، وطرق علاجه) الطبعة الثانية، المركز الديمقراطي العربي، القاهرة.

3- إذاعة طهران، الثلاثاء (30أ/ 2018/10) (الحسين يجمعنا) الموقع:
www.https://arabicradio.net/news/

4- إذاعة طهران، الخميس (2022/7/21) (زيارة السلام) الموقع:
www.https://arabicradio.net/news/

5- الخزاعي، عمار حسن، 2020، قراءة في دعاء الإمام الصَّادق لزوّار الإمام الحسين (عليهما السلام)، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة،
الموقع: www.https://inahj.org/articlesandresearch/1405

6- الداود، رولا خالد، 2019 (أهمية الزيارة الأربعينية في محاربة الإرهاب والحفاظ على الشباب من منظور النهضة الحسينية) وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الأربعين، المجلد الخامس، العدد الثاني، السنة الخامسة.

7- الرازي، أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي، 1430(كفاية الأثر في النص على الأئمة الأثني عشر) الطبعة الأولى، تحقيق: محمد كاظم الموسوي، عقيل الربيعي، مطبعة نكارش، قم المقدسة.

8- الساعدي، الشيخ محمد رضا، 2018 (دور الاربعين في صناعة الشخصية المهدوية) مدونة: كتابات في الميزان،
الموقع: www.https://www.kitabat.info/subject.php.id=125863

9- الساعدي، الشيخ محمد رضا، 2022(دور الزيارة الأربعينية في الإصلاح) مؤسسة وارث الأنبياء، مجلة الإصلاح الحسيني، العدد التاسع عشر، مقالات العدد.

10- السلمان، عبد السلام محمد كاصد، 2018 (الإرهاب في المضامين الفكرية) موسوعة آراء وأفكار إنسانية، مؤسسة الدرر البائنة، عمان – الأردن.

11- (شبكة نبأ-ملفات عاشورائية، (الثلاثاء 2015/10/27) (خريطة عمل ثقافية لاستثمار زيارة الأربعين) www.https://annabaa.org/arabic/ashuraa/3984

12- الشريم، إيناس، 2021(دور الزيارة الأربعينية في تنمية فكر الشباب وتربيتهم دينيا) وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث لزيارة الأربعين المباركة، المجلد السابع، السنة الثانية، العدد الثاني.

13- شويخ، هادي حسن، 2019 (مستقبل زيارة الأربعين في ظل التحديات والتهديدات والفرص) وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الأربعين، المجلد الخامس، العدد الثاني، السنة الخامسة.

14- فرج، د. سعد بن احمد صالح، 2018 (أثر التطرف الفكري في هدم المقاصد الشرعية) مجلة كلية الدراسات الإسلامية، المجلد الرابع، العدد الرابع، الإسكندرية.

15- الكربلائي، 2018، (البعد الاجتماعي في زيارة الأربعين) الموقع الالكتروني: www.https://masom.imamhussain.org/files/478

16- المجلسي، الشيخ محمد باقر، (بحار الأنوار) الجزء(44)، و (45)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

17- مراد، خضير مراد، 2019(الثورة الحسينية والمبادئ السامية المستمدة منها) جامعة كربلاء، مركز الدراسات الإستراتيجية، قسم الدراسات السياسية: الموقع: www.http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/blog/2019

18- النداوي، محمد أزهر، أبو الحاج، ثابت أحمد، ثابت أحمد، 2018 (العلاقة بين مدى إدراك أسباب الغلو والتطرف الديني وبين مظاهرهما لدى طلبة المدارس الثانوية العربية في ماليزيا) مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، المجلد(16)، العدد(2)، ديسمبر – جامعة الشارقة.

19- يحفوفي، نادين، 2019 (البعد الاجتماعي لزيارة الأربعين بين النظرية والتطبيق) وقائع المؤتمر العلمي الدولي الثاني لزيارة الأربعين، المجلد الخامس، العدد الثاني، السنة الخامسة.

20- يعقوب، 2013، الإرهاب الاقتصادي-مفاهيم وآراء، الموقع: http://www.erhabeconomy.com